

بلاغة الاختيار والتأليف في الخطاب النثري

الدرة اليتيمة لابن المقفع أنموذجا

إعداد

د. منى محمد الشاهد محمود

دكتوراه بلاغة ونقد من جامعة أم القرى

معلمة بمدارس عبدالرحمن فقيه للبنات - مكة المكرمة

الملخص

يتجه البحث إلى النظر في رسالة ابن المقفع (الدرة اليتيمة) نظرا بلاغيا، من خلال الظواهر الأسلوبية والتركيبية والتصويرية التي اتّسمت بها، ويهدف إلى الكشف عن بلاغة اختيار ابن المقفع في الأساليب وفرادتها، مع بيان طرق التأليف لها في مضامين حية داخل رسالته، وتكمن أهمية الدراسة في تتبع أسلوب ابن المقفع، وصولاً لعقد موازنة بينه وبين أسلوب القرآن الكريم، ردًا على فرية المعارضة التي لم تأت إلا من خلال اتهامه بالزندقة. ويستقيم البحث في حدود منهج نظرية النظم التي تبحث في الخصائص التركيبية والأنماط التصويرية ضمن نظامها الاعتباري والمعياري القائم على أساسين يكمنان في التأليف والاختيار.

ويتوزع البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث؛ حيث يعالج التمهيد الأصول العامة لابن المقفع ورسالته، بوصفها خطابا نثريا تتجلى فيه فريدة الأسلوب وظواهر التأليف والتركيب، مع تسليط الضوء على الآثار المتواترة حول ابن المقفع ورسالته.

في حين يعالج المبحث الأول الفرائد البلاغية في الرسالة من خلال النسق الإنشائي المكثف في ثنائية الأمر والنهي وما صاحبها من أسلوبية القصر، ويأتي المبحث الثاني ليعالج مظاهر الأساليب والصور المطردة في الرسالة، والتي تبدّت في أساليب: التشبيه والاستعارة والإيجاز والتوشيع وحسن التقسيم والاقتباس، على حين يتجه المبحث الثالث إلى بيان أثر القرآن في أسلوب ابن المقفع في رسالته، التي تبين خصوصية القرآن في أسلوبه وتراكيبه وصوره، وتبرئة ابن المقفع فيما نسب إليه من تُهم وزندقة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب النثري، ابن المقفع، الدرة اليتيمة، الظواهر الأسلوبية.

Abstract

This study examines Ibn al-Muqaffa's epistle (Al-Durra al-Yatima) from a rhetorical perspective, examining its stylistic, structural, and pictorial features. It simultaneously seeks to reveal the eloquence and uniqueness of Ibn al-Muqaffa's choice of styles, while also demonstrating their composition within the vivid contents of his epistle. The importance of the study lies in tracing Ibn al-Muqaffa's style, establishing a parallel between it and the style of the Holy Qur'an, in response to the opposition's slander, which arose only through the accusation of heresy.

The study is based on the theoretical approach of grammar, which examines the structural characteristics and pictorial patterns within its normative and normative system, based on two foundations: composition and selection.

The study is divided into an introduction, a preface, and three chapters. The preface addresses the general principles of Ibn al-Muqaffa' and his epistle, describing it as a prose discourse that demonstrates the uniqueness of its style and the phenomena of composition and structure. It also highlights the successive influences on Ibn al-Muqaffa' and his epistle. While the first section addresses the rhetorical gems of the epistle, through its dense constructional system of command and prohibition and the accompanying stylistic conciseness, the second section examines the manifestations of the epistle's consistent styles and images, manifested in the styles of simile, metaphor, brevity, exaggeration, fine division, and quotation. The third section draws parallels between the Qur'anic style and that of Ibn al-Muqaffa' in his epistle, demonstrating the uniqueness of the Qur'an in its style, structures, and images, and exonerating Ibn al-Muqaffa' from the accusations and heresy attributed to him. Keywords: Prose discourse, Ibn al-Muqaffa', The Orphan Pearl, Stylistic phenomena.

مقدمة

الحمد لله الذي له الحمد كله، والصلاة والسلام على من حمل معجزة اللسان العربي المبين، وبعد:

فقد حفل التراث العربي بكتّاب نوعيين _ من الأدباء والنقاد والبلاغيين _ بلغوا بكتاباتهم النثرية درجة عالية تركت بصماتها في نفوس القديماء والمحدثين، وقد حظي عبدالله بن المقفع رحمه الله باهتمام بالغ في الدراسات النقدية قديماً وحديثاً؛ للمكانة التي تبوأها في الأدب العربي، فقد كان غزير المعاني، إذا كتب أمعن في اختيار المعنى، ثم أمعن في اختيار اللفظ المناسب لتأدية هذا المعنى، حتى غدا مدرسة في النثر الفني منهجاً وفنواً، وموضوعات وأساليب. ولعل زمن البدايات الذي عاش فيه ابن المقفع يبرز قيمة ما قدمه للعربية؛ حيث كانت تركته الإبداعية متنوعة الاتجاهات، على الصعيد الأدبي والتاريخي والفلسفي والديني والسياسي والاجتماعي، وفهمه للبلاغة نابع من طبيعة عصره وثقافته^(١).

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن بلاغة اختيار ابن المقفع في الأساليب وفردتها، مع بيان التأليف لها في مضامين حية داخل رسالته الدرة اليتيمة، واستجلاء ظواهر أسلوبية كثرت وبرزت بشكل لافت للنظر، يمكن القول معه بأنها طريقة مخصوصة في كتاباته، وتكمن أهمية الدراسة في تتبع أسلوب ابن المقفع، وصولاً لعقد موازنة بينه وبين أسلوب القرآن الكريم، ردّاً على فرية المعارضة التي لم تأت إلا من خلال اتهامه بالزندقة.

وتنتهج الدراسة منهج نظرية النظم التي من مقوماتها المنهجية، البحث في علل الاختيار والتأليف للأساليب والصور في الدرة اليتيمة، ومحاولة الوقوف على أبرز ما فيها من بلاغة في فردتها أو مظاهر شيوعها ووفرتها في إطار خصائصها وتراكيبها.

وبناء على ما تقدم، فإن تقسيم الدراسة يقوم على أساس من عنوان الرسالة؛ حيث تجمع بين أمرين: (درة، ویتيمة)، ولكل وصف من هذين مردود على السمات الخاص بها؛ فالیتيمة

(١) ينظر: ابن المقفع وأثره في التراث البلاغي والنقدي: سوسن رجب حسن، (مصر، كتابات، العدد ٨، ٢٠١٣م)، ص ١٥٠.

تقتضي التفرد، وهذا التفرد إما أن يكون تفرداً محضاً، أو تحويراً لما سبق من أساليب، وتعديلاً له، فيكون هناك مبحث عن الفرائد البلاغية في الرسالة، تجمع فيه الباحثة ما تفرد فيه من أساليب وصور وألفاظ، ومبحث آخر يتناسب مع الدرة من مظاهر التزيين والتوشيح للأساليب والصور في الرسالة، من ثم تخلص الدراسة إلى بيان المفارقات بين الأسلوب القرآني وأسلوب ابن المقفع في رسالته ليكون رداً عملياً بلاغياً على فرية مضاهاة القرآن التي نسبت إليه.

وعلى هذا الأساس، جاءت الدراسة موزعة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وثبت بأهم المصادر والمراجع.

المقدمة: تناقش فكرة الموضوع وهدفه وأهميته، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: ابن المقفع ورسالته.

المبحث الأول: بلاغة الاختيار للفرائد البلاغية في الرسالة.

المبحث الثاني: بلاغة التأليف للأساليب والصور المطردة في الرسالة.

المبحث الثالث: أثر القرآن في أسلوب ابن المقفع.

ثم الخاتمة، وترصد أبرز النتائج المستخلصة التي توصل إليها البحث.

التمهيد

ابن المقفع ورسالته

أولاً: ابن المقفع

قبل إسلامه: روزبه بن داذويه، وبعد إسلامه عبدالله. كان رحمه الله شديد الذكاء، عقله أكبر من علمه، دقيق الملاحظة، إذا تدبّرت أخلاقه ظهر أنها تتجلى في سجاياه الكريمة، وقوامها المروءة والحكمة، فقد عرف بالرصانة، وسهولة المخالقة والإباء والترفع عن الدنيا، وغدا وفاؤه للخلائ مضرِب الأمثال، اتهم بالزندقة^(١)، وكان بارعاً في معالجة الموضوعات

(١) قال الفيروز أبادي: الزنديق، بالكسر: من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب: زن دين، أي: دين المرأة، ج: زنادقة أو زنديق، وقد تزندق، والاسم

المادية الحسية والعقلية المجردة، مع سعة في المعرفة واتزان في الأحكام وإصابة في الرأي^(١)، له ولأدبه مكانة في نفوس القدماء، من ذلك بعض ما قاله كبارهم:

✓ في رسائل الجاحظ: "ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع، ويكنى: أبا عمرو. وكان يتولى لآل الأهتمام، وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جواداً فارساً جميلاً، وكان إذا شاء أن يقول الشعر قاله " (٢)

الزندقة، ورجل زنديق وزندقي: شديد البخل، انظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) مادة (ز ن ق).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الزنديق فارسي معرب أصله: "زنده كرد" أي: يقول بدوام الدهر؛ لأن زنده: الحياة، وكرد: العمل. ويطلق على من يكون دقيق النظر في الأمور. وقال ثعلب: ليس في كلام العرب زنديق، وإنما قالوا زندقي لمن يكون شديد التحيل، وإذا أرادوا ما تريد العامة قالوا: ملحد ودهري، بفتح الدال، أي: يقول بدوام الدهر وقال الجوهري: الزنديق من الثنوية، كذا قال، وفسره بعض الشراح بأنه الذي يدعي أنه مع الله إلهاً آخر. وتعقب بأنه يلزم منه أن يطلق على كل مشرك. والتحقيق ما ذكره من صنف في الملل أن أصل الزنادقة أتباع ديسان ثم ماني ثم مزدك. وحاصل مقالته أن النور والظلمة قديمان، وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، ومن كان من أهل الخير فهو من النور، وأنه يجب السعي في تلخيص النور من الظلمة فيلزم إزهاق كل نفس... والزنديق يطلق على من يعتقد ذلك، وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل، ومن ثم أطلق الاسم على كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام حتى قال مالك: الزندقة ما كان عليه المنافقون، وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم أن الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، فإن أرادوا اشتراكهم في الحكم فهو كذلك، وإلا فأصلهم ما ذكرت. وقد قال النووي في لغات الروضة: الزنديق الذي لا ينتحل ديناً. ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، (دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى)، ص ٥٨.

^(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، (لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م)، الجزء الثاني، ص ٥٠.

^(٢) ينظر: رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٤ هـ) الجزء الثالث، ص ٤٤. وكان الجاحظ بجلالة قدره قد ذكر أنه هو نفسه في صدر حياته الإبداعية كان يكتب الكتاب ثم يتخله أحد المشاهير السابقين كابن المقفع كي تشيع ويتقبلها الناس قبولاً حسناً، ينظر في هذا: الرسائل، الجاحظ، ج ١، ص ٣٥٠.

- ✓ وفي "البصائر والذخائر" للتوحيدي، وهو من أئمة البيان الشاهقين: "قال أبو العيناء: كلام ابن المقفَّع صريح، ولسانه فصيح، وطبعه صحيح. كأنَّ كلامه لؤلؤٌ منشور، أو وشيٌّ منشور، أو روضٌ ممطور"^(١)
- ✓ وفي "أمالي" المرتضى: "وكان ابن المقفَّع، مع قلة دينه، جيد الكلام فصيح العبارة، له حكم وأمثال مستفادة"^(٢).
- ✓ ولعبد القادر البغدادي شهادة حاسمة بأن "ابن المقفَّع كاتب بليغ"، وإن شفع هذه الشهادة بأنه زنديق!^(٣).
- ✓ ويشير بديع الزمان الهمداني في "المقامة الجاحظية" إلى أنه كان مثالا لبراعة الوصف وذرية الكلام^(٤).
- ✓ كما وصفه ابن خلكان في "وفيات الأعيان" بأنه "الكاتب المشهور بالبلاغة، صاحب الرسائل البديعة... وكان مع فضله يتهم بالزندقة"^(٥).
- ✓ وفي "الفهرست" لابن النديم أن "بلغاء الناس عشرة: عبد الله بن المقفَّع، عمارة بن حمزة، حجر بن محمد..."، وأن "الكتب المجمع على جودتها: عهد أردشير، كليلية ودمنة، رسالة عمارة بن حمزة الماهانية، اليتيمة لابن المقفَّع، رسالة الحسن لأحمد بن يوسف"^(٦).

^(١) البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، تحقيق وداد القاضي، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ) الجزء الثامن، ص ٥٤.

^(٢) خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ) جزء ٨ ص ١٧٨.

^(٣) خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ) جزء ٨ ص ١٧٧.

^(٤) مقامات بديع الزمان الهمداني: أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م)، ص ٨١.

^(٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، الطبعة: ١٩٠٠) الجزء الثاني، ص ١٥١.

^(٦) الفهرست: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، (لبنان: بيروت، دار المعرفة، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ص ٣٠٣.

ثانياً: بين يدي رسالته

كُتبت الدرة اليتيمة لأهم ركيزتين من ركائز المجتمع، هما السلطان والصديق، وبينهما وثاق وصلة؛ فالسلطان رأس صلاح الأمة، والصديق رأس صلاح الرجل، "كل قرين بالمقارن يقتدي"، {وَالْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} ^(١). من هنا فقد جمع في رسالته بين الأساليب القوية والمعاني العظيمة.

وثمة إلماحة تظهر من عنوان الرسالة: " الدرة اليتيمة" ففيها معان منسلة من اصطفاء هذه العنونة، كالاختصار والوضوح، والدقة والنفاد، وتكثيف المعنى، والإثارة وجلب الانتباه، وهذا من لقائية الأديب، فالعنوان دالٌّ مركزي على مدلول الكتاب، من ثم آثرت الباحثة تقسيم المباحث وفق ما يدل عليه من فرادة ومظهر تزييني.

و"الدرة اليتيمة" التي قيل في بعض الكتب ^(٢) إنها الكتاب الذي عارض به ابن المقفع كتاب الله الكريم. هي في الواقع، بعض رسالة "الأدب الكبير"، ولا شيء سواه، يلحظ هذا من موازنة نصوصها بنصوص الأدب الكبير.

المبحث الأول

بلاغة الاختيار للفرائد البلاغية في الرسالة

إن النظر لأي نص تحليلًا وتحليلًا على أنه عمل إبداعي يُظهر تماسكه من عدمه، لأن هذا التماسك استقرائي، يكشف عن أسلوب الكاتب، وجوهر معانيه، ويبرز العلاقة بين ظاهر النص وباطنه، ويحدد الخواص الأسلوبية للدلالة والمعنى، من حيث إن "الدلالة تعدّ كشفًا

^١ (الزخرف: ٦٧.

^٢ (سيناقش هذا القول بالتفصيل في المبحث الثالث من البحث.

لمعنى المعنى، ورصدًا لتحولات بنى النص^(١)، وتعدد الأشكال اللغوية المشفوعة بالدلالات الرحبة المستنبطة.

وتتنوع الأساليب تنوعاً واسعاً، فيؤدي ذلك إلى فروق في تأدية المعاني، والكاتب الجيد يتحسس هذه الفروق ويتلمسها، فيصور معانيه العظيمة بما يماثلها من أساليب جليّة، فمتى شاكل الأسلوب معناه وأعرب عن فحواه كان جديراً بحسن الموقع، وحسن القبول، وإعمار العقول مع إمتاع النفوس.

وتفردت في الدرة اليتيمة أساليب بلاغية ظهرت بشكل لافت من أول الرسالة حتى مختتمها، بل بنيت عليها جلّ معانيها وأغراضها التي بثّها ابن المقفع في كلامه وأدار حولها تعليقاته، وأخص في هذا المبحث أبرز الفرائد الظاهرة، وهي: فريدة الإنشاء وأنساقها لاسيما الأمر والنهي، وفرائد الثنائيات.

• النسق الإنشائي

يرتقي ابن المقفع في الدرة إلى أصول الأدب وأسس الأخلاق، ويتوجه بهذه الرسالة إلى خواص الناس، وهؤلاء لا حاجة لهم إلى التلطف والتشويق، ولذا يلحظ كثرة أسلوب الأمر وأسلوب النهي مع تعدد الأغراض الكامنة وراء كل منهما، وهذان الأسلوبان يتعاوران في السياق، ويستمد منهما السياق دلالاتهما، فقد يأتي الأسلوبان في سياقين مختلفين، وقد يأتيان في سياق واحد ويفيضان بمعنيين مختلفين.

❖ أسلوب الأمر

يقول ابن المقفع:

"يا طالب الأدب اعرف الأصول والفصول، فإن كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع إضاعة الأصول، فلا يكون دركهم^(٢) دركاً"^(١).

^(١) (الخطاب ودلالاته عند ابن المقفع: عبدالحسين عبد الرضا العمري وأزهار فنجان الإمارة، (العراق: جامعة البصرة، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٠، ٢٠١٢م)، ص ٦٠.

^(٢) (الدرك: للحاق، لسان العرب: محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور، (بيروت: دار صادر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ)، مادة (د ر ك).

بنداء لطيف يفتتح ابن المقفع أوامره في الرسالة، وهذا النداء موجه لطالب الأدب، وفيه خصيصة، فالطالب دائماً في موقف الخاضع المحتاج، فإذا كان الطلب أدباً كان أكثر خضوعاً واحتياجاً وإصغاء، أمره ابن المقفع أمر حثّ بمعرفة الأصول والفروع، فكل مطالب الدنيا - حتى الديانات - لها أساس تتفق فيه، وتفصيلات تفترق فيها، وعلة معرفة الأصول والفصول أن كثيراً من الناس تنصرف عنايتهم إلى الثانويات وينشغلون بها فتضيع منهم الأسس وتضمحل؛ لأن ما اهتموا به لم يُبين على أساس ثابت وقاعدة راسخة، من ثم يذهب سعيهم هباء منثوراً.

وهذا الطلب له علاقة بالسياق، فقد جاء بعد تبيان من ابن المقفع من أن القدماء قد تركوا إراثاً عظيماً ضناً بخلفهم من أن يتيهوا في عماهة، فما تركوه هو الذي منه نستقي وعنه نأخذ، فكأنهم الأصول، وما بعدهم الفصول، وأن من يعتمد أن يقتات على الفصول ويغيب إرث الأصول لا يكون دركه دركاً، ولا علمه علماً.

"إذا رأيت أحدهم يجعلك أخاً فاجعله أباً، ثم إن زادك فزده"^(٢)

وهذا من الأدب العالي، وفيه معنى إسلامي متمثل في مرتبة الإحسان، فالإحسان للذي يكرمك أن تعطيه فوق ما أكرمك، زيادة فوق زيادة، ولهذا كان جزاء الذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وابن المقفع يحث بلطف على هذا الكرم في التعاملات، فالذي يجعلك أخاً حقيق بك أن تجعله أباً، ومعلوم أن تقدير الأب أعلى من تقدير الأخ، فالأخ له الصحبة والمؤاخاة، والأب له التوقير والصحبة والمودة اللازمة، ثم إن زادك صاحبك عن ذا فزده، وهكذا تتنامى الزيادات حتى تصل إلى الرحابة والألفة الدافقة، وقد جاء الإسلام في نصوص كثيرة يحث على هذا المعنى، ويرغب في التكاتف والقوة الجماعية التي تنشأ من وفرة العلاقة الأخوية بين الصاحبين والأخوين والزميين، ولا ريب من تأثر ابن المقفع من أخلاق الإسلام حد وضوحها في رسالته، فقرة فقرة، ومعنى معنى، ويستمر ابن المقفع في التحضيض على ثوابت الرفقة الصافية فيقول:

^(١) (الدرة اليتيمة: تقديم شكيب أرسلان، (مصر: المكتبة المحمودية التجارية لصاحبها محمود علي صبيح، ميدان الجامع الأزهر الشريف)، ص ١٦.

^(٢) (الدرة اليتيمة: ص ٢٦.

" **تَحَفُّظٌ فِي مَجْلِسِكَ وَكَلَامِكَ مِنَ التَّطَاوُلِ عَلَى الْأَصْحَابِ، وَطَبٌّ نَفْسًا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَعْصُرُ**
لَكَ فِيهِ صَوَابُ الْقَوْلِ وَالرَّأْيِ مَدَارَةٌ لئَلَّا يَظُنَّ أَصْحَابُكَ أَنَّ مَا بَكَ التَّطَاوُلُ عَلَيْهِمْ"^(١).

ومن التسامح في الصداقة : أن يمسك الإنسان نفسه عن كثير من الآراء التي يراها أصوب من آراء أصدقائه، وأن يتحفظ، -قدر جهده- من التطاول عليهم بالقول أو بالفعل ، خشية أن يظنوا في تصرفاته شيئاً من الاستعلاء، فينقبضوا عنه ، أو ينصرفوا.

والتَّحَفُّظُ تَحَفُّظٌ وَقَلَّةٌ غَفْلَةٌ، ولذا سَمَى اللهُ ملائِكَته حَفَظَةً، وفي الحفظ معنى الاحتراس كذلك^(٢)، مما يشعر بأن هذا الأمر قد خرج إلى معنى الوجوب، مع التماس خفي، فثمة تحفظ واع لأية مطاولة تكون منك، وفي الوقت نفسه ضرورة تطييب النفس عن كثير مما ينبغي تصحيحه وتوجيهه، علة ذلك المنع من اتهامك بالتطاول والتجاوز، ثم يترقى هذا الأمر إلى أن يقول:

"**اسْتَحْ كُلَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَخْبِرَ صَاحِبَكَ أَنَّكَ عَالِمٌ وَأَنَّهُ جَاهِلٌ مَصْرَحًا أَوْ مَعْرَضًا**"^(٣)

ففي الأولى تحفظ من التطاول، وفي هذه طلب استحياء من أقوال أو أفعال هي من حق المتكلم لكنها قد تنشئ وغرًا، وثقهم على أنها تبكيت للسامع وتتقيص من مقدار معرفته، إما بالتصريح أو التعريض، وهذا الطباق يجيء هنا خادماً لمعنى التحرز من مسّ الصديق بسوء وضوحاً أو خفاءً، وجملة: (كل الحياء) تشعر بضرورة إحاطة الحياء الذي هو شعبة من الإيمان، لملافظ الصاحب وأفعاله؛ إذ يستحيل عرفاً ونقلًا أن يأتي شخص لآخر فيقول له إني عالم وإنك جاهل، لكنها تكون ضمن كلام مغلف، أو فعلٍ ملقّف.

" **تَحَرَّزْ مِنْ سَكْرِ^(١) السُّلْطَةِ وَسَكْرِ الْعِلْمِ وَسَكْرِ الْمَنْزِلَةِ وَسَكْرِ الشَّبَابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَلَا وَهُوَ رِيحُ جَنَّةٍ تَسْلُبُ الْعَقْلَ وَيَذْهَبُ الْوَقَارَ وَتَصْرِفُ الْقَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَاللِّسَانَ**
عَنِ الْمَنَافِعِ"^(٢)

^(١) (الدرة اليتيمة: ص ٤٤ .

^(٢) (ينظر: لسان العرب، مادة (ح ف ظ).

^(٣) (الدرة اليتيمة: ص ٤٤ .

سمة أسلوبية عند ابن المقفع تتلخص في أنه لا يأمر بشيء أو ينهى عن شيء حتى يعلل السبب الذي من أجله نهى أو أمر، وفي هذا تنام للحجة واقتناع بها من قبل السامع؛ لأن الشيء بدليل أقوى منه بغير دليل، وهذا من أساليب القرآن الحية، فكثيراً ما يتبع الأمر والنهي مسوغاتهما التي تقرب السامع من لزوم المأمور به أو ترك المنهي عنه، ويلحظ في الفعل "تحرّز" كأمر خرج إلى غرض التوجيه إشعار بمعاني الحرز، أي اجعل بينك وبين هذه المسكرات حرزاً منيعاً، وهي أربعة، كلها تذهب العقل: فإدمان السلطة والمنزلة يهلك الوقار والاعتاظ، وإدمان العلم - غير النافع - يذهب العقل والرشاد، وسكر الشباب يؤدي إلى انصراف الجوارح كلها عن المنافع، وفي التحرّز من السكر رغبة في إيقاظ الروح في النفوس، والتذكير بالسؤال عن النعم المحاطة بالإنسان، وهذا فيه من معاني قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه".

❖ أسلوب النهي

قال ابن المقفع:

" لا تكونين نزر^(٣) الكلام والسلام، ولا تفرطن في الهشاشة والبشاشة، فإن احداهما من الكبر والأخرى من السخف"^(٤).

جمع في هذا بين النهي واللف والنشر، مع التطعيم ببعض أنماط الجناس الناقص، كما يلجأ إلى التعليل رغبة في إنماء المستوى الأخلاقي عند السامع، ونهيه يخرج إلى غرض الالتماس، مع توكيده بالنون الثقيلة، إحياء بضرورة تثبيته في سمع المتلقي له، وفيه لف ونشر مرتبين، حيث يقدر السامع أن يميز ما يعود إلى الكبر فيهما وهو قلة الكلام والسلام، وما يعود إلى السخف وهو الإفراط في الهش والبش، إنما يكون كل شيء بتوازن، لا إفراط ولا تفريط،

^(١) (السُّكْرُ نَقِيضُ الصَّخْوِ. وَالسُّكْرُ ثَلَاثَةٌ: سَكْرُ الشَّبَابِ وَسَكْرُ الْمَالِ وَسَكْرُ السُّلْطَانِ، يَنْظُرُ لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (س ك ر) وابن المقفع زاد هنا سكر المنزلة.

^(٢) (الدرة اليتيمة: ص ٤٧.

^(٣) (النزر: القليل من كل شيء، لسان العرب، مادة (ن ز ر)

^(٤) (الدرة اليتيمة: ص ٢٣.

وهناك لطيفة تتمثل في أنه قد يجري الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب، أي إن المتكلم لا يعتد بهذا الواقع في صياغته، وإنما يجري على أمور اعتبارية تنزلية يلحظها هو، ويعدّها مقامات يصوغ عبارته على مقتضاها، وذلك موطن دقيق، لا يهتدي إلى موقعه الشريفة إلا ذكي النفس دقيق الحس واسع الخيال.

فمن ذلك أن تكون الجملة، أو الجمل السابقة متضمنة إشارات، أو إيماءات تثير في النفس المتلقية تساؤلاً، فتسفعها الجملة الثانية بما يزيل التردد، ويجيب عن هذا الهمس، فيدخل قدر من التوكيد في بناء العبارة ليواجه هذا التردد، ومن ذلك الجمل المؤكدة في الكلام الفصيح، والواقعة عقب الأمر والنهي، أو الإرشاد والتوجيه عند ابن المقفع، فقله: فإن أحدهما من الكبر جاء مؤكداً؛ لأنه تعليل لهذا النصح، وكأنه حين نهى عن النزر في القول، والإفراط في الهشاشة تطلعت النفس المتلقية إلى معرفة سبب ذلك، وصارت كأنها مترددة، فأسفعها بهذه الجملة المؤكدة، وتلك خصوصية بارزة في أسلوب ابن المقفع، وخاصة حين يجري قلمه بالتوجيهات الراشدة، والآداب النافعة^(١).

" لا يكونين من خلقك أن تبدئي حديثاً ثم تقطعه وتقول سوف، كأنك رأت^(٢) فيه بعد ابتدائه، وليكن ترويك فيه قبل التفوه فإن احتجان^(٣) الحديث بعد افتتاحه سخف"^(٤).

تأتي كتابة ابن المقفع في شكل نصائح مدعومة بخبرة إنسانية عميقة في دراسة أحوال البشر النفسية والاجتماعية.

في هذه الفقرة يلح على المتحدث أن يتجنب عدداً من عيوب الحديث ، أبرزها أن تغلب على الإنسان شهوة الكلام، دون دافع حقيقي له، فيضطر إلى قطع حديثه بعد البدء به، محاولاً

^١ (ينظر: خصائص التراكمات دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة)، ص ٨٤.

^٢ (من التروي وهو التريث والتفكير.

^٣ (الاحتجان: الضم والإمساك، لسان العرب، مادة (ح ج ن)

^٤ (الدرة اليتيمة: ص ٢٤

تذكر بعض أجزائه، نتيجة لعدم إعداده سلفاً أو التفكير فيه، والواقع أن المتحدث بمثل هذه الطريقة إنما يرهق سامعه، ويضطره إلى عناء الانتظار لما نسيه ، أو لم يتدبره، دون أن يكون له ذنب في النسيان أو عدم التفكير، من ثم يؤتى السامع من سوء بيان القائل، وهذا ضد ما ألمح إليه علماء البيان، والنهي هنا للالتماس مع النصيح، ووكد بالنون ، وهي سمة أسلوبية عند ابن المقفع، إذ لا يكاد يخلو منها نهى، ويقابله أمر متصل بلام الأمر "وليكن"، مفاده التريث قبل التفوه، وترتيب المعاني في النفس قبل إطلاقها على اللسان، وعلة ذلك أن إمساك الكلام بعد افتتاحه سخر ومدعاة لعيوب النطق كالتأتأة والفأفة.

" لا تخلطن بالجد هزلاً ولا بالهزل جدًا فإنك إن خلطت بالجد هزلاً هجنته^(١)، وإن خلطت بالهزل جدًا كدرته"^(٢)

مع توافر التبسط الذى يوجد عادة بين الأصدقاء ، وتستدعيه المودة بينهم ، فإن ابن المقفع يحذر من عدم تقدير المواقف التي تنمى مع هذا التبسط ومن ذلك خلط الجد بالهزل ، أو العكس.

يرى أنه من الأفضل للمتحدث أن يلتزم الصدق، حتى في مواقف الهزل ، فإن عاقبة الكذبة الهازلة وخيمة، وبنى فقرته على التمازج بين الثنائيات، مع التفرع والتعليل. وفي النهي إلماحة إلى أن اللسان آلة ذات وظيفة خطيرة في حياة الإنسان داخل المجتمع ، يمكن أن تستخدم استخداماً عاقلاً فتصبح في صالحه ، كما يمكن أن تستخدم استخداماً منحرفاً أو غير منضبط فتصير من أهم عوامل فشله في علاقاته مع الآخرين. فخلط الجد بالهزل كمن يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، دون انتباه للعواقب، وخلط الهزل بالجد فيه سوء وكدره، وفيه خلط بين المقامات وما يناسبها، والأقوال وما يلائمها، فكان حرياً بالعاقل أن يتفرس مواضع الجد، ويفرق بينها وبين مواضع الهزل.

^(١) (الهجنة من الكلام ما يعيب، لسان العرب، مادة (ه ج ن)

^(٢) (الدرة اليتيمة: ص ٤٣ .

كما نجد أسلوب القصر بما وإلا عند ابن المقفع مصاحباً للجملة الإنشائية، وفيه ترقٍ في الطلب، يقول: " لا تعتذرن إلا إلى من يحسب أن يجد لك عذراً، ولا تستعينن إلا بمن يجب أن يظفر لك بحاجتك، لا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنماً مالم يغلبك الاضطرار" (١)

تعد مراعاة المواقف التي يحسن فيها الكلام من أهم ما ينبغي أن ينتبه له المتحدث ، وإذا كانت مراعاة الموقف تتضمن اعتبار عدة عناصر مهمة مثل الوقت ، والمكان ، والجو المناسب، فإن هناك عنصراً لا يقل عنها أهمية ، وهو الشخص الذي تتحدث إليه ، والوقوف على شعوره بالنسبة إليك، أو إلى حديثك ، واعتذارك منه، واستعانتك به. وهذه من مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب، ونفسيته، واستكشاف دواخله.

واصطفاء أقوى أدوات القصر (لا وإلا) مع صحبة النهي المؤكد بالنون الثقيلة مشعر بقوة تنامي الطلب، ووجوب الانضباط به، فالصداقة لا تستقيم إلا بدوافع قوية قائمة على الحق والاحترام والحفاظ على الكرامة والألفة، وطلبه هنا يذكر بقول نقله الجاحظ عن "مطرف بن عبد الله إذا يقول: «لا تطعم طعامك من لا يشتهي» . بمعنى: لا تقبل بحديثك على ما لا يقبل عليه بوجهه" (٢).

• الثنائيات

الثنائية عند ابن المقفع أكثر من أن تحصى في كتاباته، وأوضح وجود لها في رسالته اليتيمة؛ إذ لا تكاد تخلو أية فقرة من ورودها، من ذلك:

"أحببت أن أقدم إليك قولاً لتروّض (٣) نفسك على محاسنها قبل أن تجري على عادة مساوئها" (٤) .

١ (الدرة اليتيمة: ص ٢٧ .

٢ (البيان والتبيين: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ)، ص ١٠٥ .

٣ (لتروّض: تدلّل وتعلّم. لسان العرب: مادة (ر و ض)

٤ (الدرة اليتيمة: ص ١٧ .

يظهر الطباق بين المحاسن والمساوئ بوصفها ثنائية أحادية ضدية، حيث يقف موقف الحكيم الذي عركته الحياة حتى عركها، فيضمّن قوله خلاصة تجاربه التي تبعث على ترويض النفس واجتلاب المحاسن، قبل المضي في العمر والوقوف على المساوي، وتلحظ عند ابن المقفع بعض الفقر التي تقوم على الثنائيات كأسلوب عمدة، من مثل قوله:

"إنك ما شغلت من رأيك بغير المهم أزري بالمهم، وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق.. وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزري بك في الحاجة"^(١)

يريد ابن المقفع أن يستنفر القارئ للمعالي، عن طريق تبغيض صرف الرأي والمال والعمر في غير ما يفيد، فالرأي عماد العقل، والمال قوام الحياة الكريمة، والعمر خزنة لهذين، من ثم احتشدت الثنائيات ضدية في طباق يأنس بالمعنى الرئيس وهو اختيار الثريا ومعالي الأمور وترك السفاسف والثرى.

ويلحظ افتتاح الفقرة بأسلوب التوكيد الشائع عنده، فقد نوّه الدكتور محمد أبو موسى على طريقة ابن المقفع في أساليبه الأدبية التعليمية، أو في أدبه الموجه؛ حيث يصطنع أسلوب التوكيد كثيرًا، وهو عنده كثير جدًا^(٢).

يقول:

"كل الناس حقيق حين ينظر في أمر الناس أن يتهم نظره بعين الرينة"^(٣) وقلبه بعين المقت، فإنهما يريان الجور ويحملان على الباطل، ويقبّحان الحسن ويحسنان القبيح"^(٤)

والنظر والقلب وإن كانا لا يطابقان بعضهما طباقًا ظاهرًا إلا أن بينهما طباقًا خفيًا يتمثل في أن النظر أداة البصر، والقلب أداة البصيرة، من ثم يلمح ابن المقفع إلى معنى أن يتنبّه الإنسان من نظره وقلبه تجاه أمور الناس حتى لا يحمله الظن السيء على الباطل، فكثيرًا ما تتعاضد هاتين الأداتين على تقبيح الحسن وتحسين القبيح، أي خلط الحابل بالنابل، وتظهر هنا

^(١) الدرة اليتيمة: ص ٢١.

^(٢) خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص ٩٧.

^(٣) الزين: الطبع والدنس، لسان العرب لابن منظور، مادة (ر ي ن).

^(٤) الدرة اليتيمة: ص ٢٤.

المقابلة، مقابلة (يقبحان) بـ (يحسنان)، ومقابلة (الحسن) بـ (القبیح) كثنائية زوجية ضدية تسهم في أداء المعاني وإبراز تضادها وتناقضها. وتعود المقابلة إلى قابل الشيء بالشيء إذا واجهه من ذلك يصبح لها معنى المواجهة.

كما تُلحظ غزارة الثنائيات على مستوى الفقرة في قوله:

"إن الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، وإن العطية بعد المنع أجمل من المنع بعد الإعطاء، وإن الإقدام على العمل بعد التأتّي فيه أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه"^(١)

تأتي في مفتتح الفقرة مطابقة بين الصمت والكلام، ثم تأتي الثنائية الزوجية التوافقية في بقيتها كأسلوب تعبيرى يقوم على مبدأ التضاد بين المعاني والألفاظ والأفكار من أجل غايات بلاغية وفكرية، منها ما يلمح إليه ابن المقفّع من أن ثمة ضرر أخف من ضرر دائماً وإن اجتمعاً في المذمة، فالرجوع عن الصمت يحسن دون الرجوع عن الكلام؛ لأن الكلام مرقى غير يسير، فكأن المتكلم يقف في منتصفه الوعر، فلا هو بالذي صعد ولا هو بالذي اكتفى بالنظر إلى القمة، وإن العطية بعد المنع أجمل من المنع بعد الإعطاء، لأن العطية بعد المنع كفرج بعد شدة، أما المنع بعد الإعطاء كالحبس والقطع، ثم نجد أن الإقدام على العمل بعد التأتّي فيه يشبه كثيراً معنى الرجوع عن الصمت، والإمساك بعد الإقدام يشبه الرجوع عن الكلام، مما يدل على وحدة في المعنى الذي يريد ابن المقفّع إيصاله، من أن ثمة إقدام لا بد أن يستمر، وثمة إجمام لا بد أن ينحسر.

"واعلم أن البغضة خوف، والمودة أمن، فاستكثر من المودة صامتاً فإن الصمت يدعوها إليك، وناطقاً بالحسنى فإن المنطق الحسن يزيد في ود الصديق ويسهل سخيمة الوغر"^(٢) (٣).

^(١) الدرة اليتيمة: ص ٢٦.

^(٢) (السَّخِيمَةُ الحِفْدُ وَالضَّغِينَةُ والمُوجِدَةُ في النفس؛ وفي الحديث: اللهم اسئَلْ سَخِيمَةَ قلبي، والوغر: الذي يحترق من شدة الغيظ، ينظر: لسان العرب: مادة (س خ م) ومادة (و غ ر).

^(٣) الدرة اليتيمة: ص ٦٥.

تظهر مقابلة معنيين بمعنيين في أول الفقرة، البغضة تقابل المودة، وهما عملان من أعمال القلب، والخوف يقابل الأمن وهما مشاعر في القلب، تنبت عن توجس أو عن ألفة، فيبين ابن المقفع أن البغضاء تنتج الخوف، الخوف والفرع والجزع وكل ما هو غير حميد، لأن الأصل غير حميد، وكم دُمّت في القرآن، وكم دُمّ أهلها المنبتوها في قلوبهم حسدا من عند أنفسهم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} (١).

والمودة جالبة للأمن، وتركز في نفوس المؤمنين حقاً، لأن كل ما يصدر عنهم فإنما يصدر عن نفس زكية، تسمو وتتألف ولا تتنافر، لاسيما مع من يماثلهم في الإيمان، {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (٢). وابن المقفع هنا يركز على العلاقات الإنسانية، وأن الصمت من مفاتيح المودة في القلوب، والاستكثار منه هين ووفير، وإن لم يكن الصمت فالنطق بالحسنى؛ إذ لا أسهل من الكلمة الطيبة في جذب القلوب وبناء المودة والرحمة، ونزع الحقد من النفوس الحاقدة.

مما سبق يلحظ أن الثنائية بشتى أشكالها من طباق ومقابلة لعبت دورها الأساس في بناء النص عند ابن المقفع، وأخص رسالته اليتيمة، حيث نجح هذا الأديب في تعاور الثنائيات وتوظيفها وفق الغرض والمقصد من كل توجيه، كيما تصبح خادمة لأدبه وأبناء قومه، ويجدر بالذكر أن هناك من أرجع هذه الثنائية الظاهرة عنده إلى (الفلسفة الزرادشتية)، وأنها هي التي أدخلت الشكوك لاتهامه بالزندقة (٣)، وهذا التفسير غير صحيح، فالثنائيات ليست حكراً على زرادشت ولا ديانته ولا على من تبعها، بل هي في الوجود ومع الوجود مذ كان ومذ خلق قابيل

١ (آل عمران: ١١٨)

٢ (الحشر: ٢٢)

٣ (الفلسفة الزرادشتية عرفت بنظرية المتلازمين أو العلاقة الداخلية، ومودى هذه النظرية أن طبيعة كل شيء لا تعتمد على نفسها وحدها بل تعتمد على أشياء أخرى ذات صلة بها، بالنور تعرف الظلمة، وبالحياة يعرف الموت، والخير والشر بينهما علاقة من الضدية وهو أن أحدهما لا يعرف تمام المعرفة إلا إذا قرُن بعكسه أو ضده، وهكذا، ينظر: البناء اللغوي للنص الأدبي عند عبدالله بن المقفع وفق النظرية الزرادشتية: خلف خازر الخريشة، (الأردن: مؤتة للدراسات والبحوث، المجلد السادس، العدد الثالث، ١٩٩١م)، ص ١٥.

وهابيل وتُقبل العمل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر، كذلك فإن الأضداد ليست حكرًا على لغة زرادشت أو غيره، فاللغة العربية مليئة بالأضداد، ولا أدل على ذلك من وجود الازدواجات كالخير والشر، والحياة والموت، الأبيض والأسود، الغنى والفقر، الجنة والنار،.. وغيرها كثير.

المبحث الثاني

بلاغة التأليف للأساليب والصور المطردة في الرسالة

معلوم أن الخطاب الشعري يتميز بكثرة الانزياحات؛ لأن الخيال في الشعر معنى أكثر منه في النثر، إذ يمثل الخلجات الشعورية التي تنتاب الإنسان، فإذا كانت هناك خيالات في النص النثري فإن ذلك يمثل شعرية المنثور^(١)، من ذلك ما نجده في نصوص ابن المقفع التي تتغازر فيها المعاني السامية في دقات شعورية خيالية، صورًا وأساليب، كما في فن التشبيه والاستعارة، وبعض السمات الجمالية الأخرى، فبنظرة فاحصة لأساليب ابن المقفع يلحظ أن هذه الألوان ليست إلا عناصر ركيزة كثيرة في رسالته، وهذا بيانها:

❖ أسلوب التشبيه

"فكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد الشفيق على ولده، الرحيم بهم، الذي يجمع لهم الأموال والعقد"^(٢) إرادة أن لا تكون عليهم مؤونة في الطلب، وخشية عجزهم إن هم طلبوا"^(٣)

وسياق هذا التشبيه حديث من ابن المقفع في مفتتح رسالته عن علم الأولين، وحسن عطائهم له، وشفقتهم بالقادمين بعدهم، حيث بلغ من اهتمامهم بذلك أن العالم منهم كان يفتح الله له من العلم والفهم والكلمة الصواب وهو بالبلد غير المأهول فيكتبه على الصخور مبادرة للأجل وكراهية ألا يصل ذلك من بعده، فشبه صنيعهم هذا بصنيع الوالد الشفيق على أولاده الرحيم بهم، حد أن يجمع لهم مال الدنيا وخيرها ما يكفيهم مؤونة المشقة، وعنت الطلب

^(١) ينظر: الخطاب ودلالاته عند ابن المقفع: عبدالحسين العمري ورضا الأمارة، ص ٦٠.

^(٢) العقد: الحلي والقلائد، ينظر: لسان العرب، مادة (ع ق د).

^(٣) الدرة اليتيمة: ص ١٥.

والسؤال. حذف أداة التشبيه، ووجه الشبه رغبة العطاء في كل، فالعلم رحم بين أهله، كما أن الوالد رحيم بأهله حذب عليهم.

وفي سياق ذم صحبة الرجل للنساء والغرام بهن، وأن هذا من أوقع الأمور في الدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال وأضرها بالعقل وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار، وإن كثيراً منهم ليضلون الرجال فيحملوهم على الرغبة بهن، يقول:

" وإنما المترغب عما في رحله منهن إلى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس.. وما في رحال الناس من الأطعمة أشد تفاضلاً وتفاوتاً مما في رحالهم من النساء" (١)

شبه الطامع في غير حقه من النساء إلى نسوة غيره كالطامع في مؤونة الناس وطعامها دون مؤونته وطعامه، والجامع عدم الرضا والقناعة، هذا إن جاز تشبيه كهذا، وإنما الحق كما يقول: إن ما في الرجال من الأطعمة أشد تفاضلاً مما في رحالهم من النساء، وفيه كناية عن طبعهن العام، وغلبة تشاكلهن في الصفات والأفعال، فحري بالعاقل ألا يحسب أو يظن وجود اختلاف مائز لواحدة على غيرها، بل إن كلهن سواسية، ولعل من في بيته أكثر خيراً ممن في بيوت الناس، لكن الشيطان حين يتاح له الوسوسة، يخيل للذي في قلبه مرض أن ثمة اختلاف وميزة، فيطمع، وفي اصطفاء الطعام في التشبيه ما يشعر بالاحتياج المؤقت، فالطعام لسد الجوع والمسغبة، والنساء لسد جوع الهوى وتملك الشهوة، وكلّ يفسد، لا يبقى على حال.

❖ أسلوب الاستعارة

يقول ابن المقفع في ذم المريد للنساء:

" ولا يزال مشغوقاً بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن أن لها شأنًا غير شأن ما ذاق" (٢).

(١) الدرة اليتيمة: ص ٥٦.

(٢) الدرة اليتيمة: ص ٥٧.

الذم فيمن تعلق نفسه بامرأة من غير روية ولا تدبر، ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح وأذم الذمامة، فلا يعظه ذلك عن أمثالها، بل يظل مشغولاً بما لم يذق، وفيه استعارة تصريحية، حيث استعار الذوق للنوال، والذوق موضوعٌ للطعم المرّ البشع من ذلك قوله تعالى: {فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون} ^(١) شبه ما يُدرك من أثر الضرر والألم بما يُدرك من طعم المرّ والبشع، وقد لا يكون في الذوق استعارة البتة، جرياً على الاستعمال الشائع، قال الزمخشري: الإذاقة جرّت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا وما يمسّ، يقولون: ذاق فلان البؤس وأذاقه العذاب ^(٢).

وفي الارتباط بين الذوق والطعام الذي هو أصل التشبيه الذي بنى عليه ذمه لهم، تناسب في بناء المعنى، ومن ذلك أيضاً استعارة اللباس عنده، يقول:

"إن أحببت أن تلبس ثوب الوقار والجمال، وتتحلى بحلية المودة عند العامة فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعي" ^(٣).

شبه الوقار والجمال والمودة بشخص يتزيا بلباس ويتحلى بحلية، حذف المشبه به وأتى بلازم من لوازمه وهو "تلبس" و"تتحلى" بجامع الاشتمال في كل، وهو يدعو إلى صفة التغابي والتجاهل، فثمة مواقف تقتضي التجاهل كيما يبقى المرء على وقاره ووده، لكن ليس إلى درجة التجاهل أمام ما يغضب الله، كذلك فإن بعض الصمت كمال وحلية وجواز عبور آمن، فكم من موقف يتطلب العي ويرغب في أخف الضررين رغبة في كمال الصلة والمرور السليم. ثم يعلل ابن المقفع مثل هذا الطلب على طريقة اللف والنشر المرتب منه قائلاً: "فأما العلم فيرشدك، وأما المنطق إذا احتجت إليه فسيبلغ حاجتك" ^(٤) فهناك مبدأ عام يضعه ابن المقفع لمن يريد أن يتعامل مع المجتمع بطريقة مثلى، تجمع بين الاحترام والمودة، ويتمثل هذا المبدأ في قوله "كن عالماً كجاهل، وناطقاً كعي" ومعنى ذلك: أن على الإنسان تحصيل أكبر قدر من

^(١) السجدة: ١٤

^(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار الفلم)، جزء ٧، ص ٢١٤.

^(٣) الدرة اليتيمة: ص ٤٥.

^(٤) الدرة اليتيمة: ص ٤٥.

المعرفة ؛ ليحصن بها نفسه من الضلال والوهم ، وفي الوقت نفسه ، يكون مقتصدًا في حديثه عما يعرف، وقد سبق أن للحديث مواقف ينبغي مراعاتها ؛ حتى تثمر نتيجته ، غير أن للصمت كذلك محاسن تخلع على الإنسان كثيرًا من الصفات الطيبة، من ثم فالعلم يزينك إليه - فيبلغك حاجتك ، وأما الصمت فيكسبك المحبة والوقار، ويمضي في استعارة اللباس في موضع آخر، يقول:

"اللبس للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروءة إلا بهما، لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلبس إلا متحفظًا متشددًا متطرزًا مستعدًا، ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات فتلقاهم ببنات صدرك وتفضي إليهم بموضوع حديثك"^(١)

لفظ اللباس مستعمل في كل ما يغشى الانسان ويلتبس به، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا}^(٢) ، وقال: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ}^(٣). ومنه يقال لبس الحق بالباطل إذا خلطه به حتى غشيه^(٤)، من ذلك يكون استعمال ابن المقفع لها، فهي ينصح بالتزوي بلباس الانقباض والاحتجاز للعامة الذين لا متكأ لهم في قلب المتحدث، والتزوي بلباس انبساط للخاصة الذين يجدون مغارات في القلب لا متكأ فحسب، واصطفاء اللباس للاشتغال، والإحاطة، وهذا المعنى موجود عند ابن حبان رحمه الله إذ يقول: "من مزح رجلا من غير جنسه، هان عليه ، واجترأ عليه ، وإن كان المزاح حقا، لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مسلكه ، ولا يظهر إلا عند أهله ، على أنني أكره استعمال المزاح بحضرة العامة ، كما أكره تركه عند حضور الأشكال"^(٥)

^(١) (الدرة اليتيمة: ص ٤٨ .

^(٢) (النبأ: ١١ .

^(٣) (الأعراف: ٢٦ .

^(٤) (ينظر: الإيمان: تقي الدين أبو العباس محمد ابن تيمية ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (الأردن: المكتب الإسلامي، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص ٩٢ .

^(٥) (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٨٠ .

ولباس الانقباض عند ابن المقفع يستدعيه حضور التحفظ والتشدد والأهبة والاستعداد، أما لباس الانبساط فيستدعي حضور اللين والانتساع وخواص الأفكار والأسرار. وهذا يذكر بما أوجبه الجاحظ على المتكلم من معرفة حتى يتكلم، قال: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"^(١).

لذا فإن تجاهل إحدى الكفآت أو تغييبها عن قدرها في اتزان البلاغة تطفيف في الكيل، وخسران لحق الأقدار الثلاثة؛ ذلك لأن "المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتنضع بأن يكون من معاني العامة.

وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"^(٢).

❖ أسلوب الإيجاز

وُجد عند ابن المقفع وضع للمعاني الكثيرة في ألفاظ أقل، مع وفائها بالغرض المقصود ورعاية الإبانة والإفصاح فيها. ويكون ذلك عن طريق اختيار كلمات أو تعبيرات لها دلالات كثيرة: كالأمثال والكليات من الكلمات. من ذلك قوله:

" اعلم أن أخوان الصدق خير مكاسب الدنيا، زينة في الرخاء وعدة في الشدة ومعونة على المعاش والمعاد"^(٣)

لا أوجز من هذا في بيان أمر الصديق، وعبر عنه ابن المقفع بأخوان الصدق، أي الذين جعلوا من صدق تعاملهم ديدناً حد أن نعتوا بأخوانه وأصحابه، فبين أنهم الزينة في المحفل والحشد والعدة في الضيق والمعسر، وهم خير معين على نوائب الدهر وحدثائه، كما في النص

^(١) (البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ)، الجزء الأول، ص ١٣٨.

^(٢) (البيان والتبيين: الجاحظ، (١: ١٣٦).

^(٣) (الدرة اليتيمة: ٢٧.

جمع مع تقسيم يجلي المعنى وضوحاً؛ فقد أجمل في قوله: خير مكاسب الدنيا، ثم فصل مكن الخيرية الدنيوية والأخروية، العاجلة والآجلة، وهذه من جوامع الفقر عنده، لاسيما أن جزءا كبيرا في رسالته يصب في آداب الصديق، فجمع بهذا النص معنى يبت فيه من مفتتح فصل الصديق حتى مختمه، وهو إيجاز قصر تتسع به عطاءات المعنى وتختزل فيه الكلمات حتى كأنها إشارات موحية على معان معبرة.

ونجد مثل هذا الإيجاز في مدح صديق له:

" كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد"^(١).

وهذا خلق نادر جداً، إذ ينذر الخارجون من سلطان شهواتهم ونداءات الطبيعة فيهم، وأحسن ابن المقفع إذ أوجز هذا في تفسيره للخروج من سلطان البطن، بقوله: لا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، بمعنى أنه إذا فُقد لا يشتهي، وإذا وُجد لا يستكثر منه، إنما يكون على الحياد والاقتصاد والقناعة اللازمة، وإيجاز القصر يكمن في ضم معاني القصد واختزالها في وفرة خلق هذا الصديق، الذي لا يشتهي ولا يكثر، وفي "لا يجد" و "وجد" طباق وسجع معاً، وهذا إيجاز حتى في استعمال البديع، واستدعاؤه أوضح في الدلالة على معنى التوسط في الإحساس بالكفاف أو التناول، بين التصبر أو الأخذ، بين التعفف أو الطلب.

❖ أسلوب التوشيع

يضع ابن المقفع فكرته بعد تأمل وتفكير في أحوال النفس البشرية، هذا التأمل الذي يكون بعد إدارة فكر وإشباع نظر، واستقصاء تحليل، حتى تخرج في أسلوب مميز، كالتوشيع والجمع مع التقسيم والتفريق، وهي أساليب لم تُعمد ولم تُتكلّف، إنما تتكون من فكرة تكون نتاج تأمل واستقصاء وتحليل وتروي، يلحظ أول ما يلحظ التوشيع في رسالته، وهو لا يعود على اسمين كما ذكر الخطيب^(٢)، إنما ينسلّ جملتين، من ذلك:

^(١) (الدرة اليتيمة: ص ٦٨.

^(٢) (وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء في الخبر: 'يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل' ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الجيل، الطبعة: الثالثة)، ج ٣، ص ١٩٩.

" جميع ما يحتاج الوالي إليه رَأْيَان: رَأْيُ بَقَوِي سُلْطَانِهِ وَرَأْيُ يَزِينَهُ فِي النَّاسِ " (١)

أجمل ثم فصل، وجعل هناك نوعين للرأي، نوع قوة ونوع زينة، وبدأ بالقوة لأن بها العماد وهي الأس، ثم ثنى بالزينة لأنها تكمل الأصل وتفتخر منه، ولم يكتف بهذا بل سوغ لترتيبه المذكور ذاكراً أن رأي القوة أحقها بالبداية وأولاهما بالأثرة، ورأي التزيّن أحضرهما حلاوة وأكثرهما أعاوناً، مع أن القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الأمر ينسب إلى أعظمه. ومن التوشيع كذلك:

" إن ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعية فاعلم أنك قد خيرت بين خلفتين ليس لهما خيار: إما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين وإما ميلك مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك إلا بالموت أو الهرب " (٢).

إيهام ثم توضيح، فالخيار الأول ميل إلى الظالم، وكل ميال للظلمة فهو شريكهم في الظلم، لاسيما ولاية الأمر والساسة، فيكون له عاقبة الظالمين، والخيار الآخر: الميل مع المظلومين، وهو أخف الضررين، لكنه حامل على تعنت الوالي وانتقامه، فتهلك بهذا أمور دنيوية في المعاش والمعيشة، والعاقلة يتكشف له أن الخيار الثاني أخف ضرراً، فكل ضرر دنيوي ليس بضرر، والمهم المعاد، لكن ابن المقفع تجويزاً لإظهار فضاة الخلفتين جعل المنجى هو الهرب أو الموت، لاسيما أن الابتلاء في وال لا يرغب في صلاح رعية ولا صلاح دولة، وما أكثر هذا في زمان تكالب عليه كل سوء!.

لكن في الصبر منجى، يقول:

" إن الصبر صيران: صبر الرجل على ما يكره، وصبره عما يحب، فالصبر على المكروه أكثرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطراً " (٣)

١ (الدرة اليتيمة: ص ٢٦ .

٢ (الدرة اليتيمة: ص ٢٩ .

٣ (الدرة اليتيمة: ص ٥٠ .

إجمال في أنواع الصبر، ثم تفصيل، ومعلوم أن الطريق في الدنيا تعالى مليئة بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، وثمة مأمورات هي قيد لشهوات النفس؛ ولذا فالنفس لا تستقيم على المأمور ببسر وسهولة، فلا بد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار، والصبر على المكروه أعلى من الصبر على المحبوب؛ لأن الصبر على المحبوب يستلهم فيه الصابر عاقبة مستلذة، فيكفي أنه بانتهاء الصبر سيحصل على المراد المأمول، لكن الصبر على المكروه لا يدري إلا وعلام وحتى متى، ولا يدري بعدئذ عاقبة صبره، حتى تتكشف وتتجلى في خير وفرج، فيكثر أن يكون الصابر حينئذ كالمضطر الذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت، لذا فيحبب ابن المقفع للسامع أو المخاطب الصبر على المكروه عن طريق بيان أكثريته وشبهه بالاضطرار المصاحب للفرج والتأرجح بين الرغبة والرغبة.

❖ أسلوب حسن التقسيم

إن الجمع مع التقسيم أو التفريق عند ابن المقفع ليس في إطار جملة أو جملتين، إنما يتعدى ذلك إلى عبارات كاملة تقدم شواهد جديدة للدرس البلاغي، من ذلك قوله:

«لكن حاجتك إلى ثلاثة خصال: رضى ربك، ورضى سلطان إن كان فوقك، ورضى صالح من تلي عليه، ولا عليك أن تلهو عن المال والذكر، فسيأتيك منهما ما يكفي ويطيب، واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه، والمال والذكر بمكان ما أنت واجد منه بدءاً»^(١).

أول ما يلحظ في هذه الفقرة اعتناء ابن المقفع بغرس تتبع رضوان الله في نفس السامع أو المخاطب، من ثم يستفهم القارئ الفاحص كيف يكتب هذا من ذهب فئام من الناس إلى رمية بالزندقة؟ وإلى معارضة كلام الله العزيز؟

جعل ابن المقفع رضا الله حاجة لا غناء عنها، ولا بد منها، بل هي فاتحة الحاجات، تليها رتبة من هو دون الله رتبة كرضا السلطان أو الوالي، ثم رضا الصالحين؛ إذ إن رضا الناس غاية لا تدرك، وانتبذ الحاجة إلى المال والذكر مكاناً قصياً، وعلل لذلك بأنهم لا ريب آتيان

^(١) (الدرة اليتيمة: ص ١٩.

للإنسان من حيث احتسب أو لم يحتسب، لكن رضا الله، والسلطان، والصالحين، مما يجب أن يحسب له الذكي حساباً تاماً وواعياً، وظهر حسن التقسيم عنده في التدرج التراتبي في ذكر حاجات الناس إلى الخصال الثلاث، ولو قدم الصالح على السلطان مثلاً لما كان في التقسيم حسن، لكنه رتب حسب القدر والأهمية، وحسب الأساس ثم الفرع أو الدون فبرز حسن التقسيم. ومثل هذا اللون البديعي إذا أحسن استعماله كان أدلّ على قدرة الكاتب في ضم جملة أشياء تحت إطار جامع.

وربما قصد ابن المقفع من هذا الأسلوب أن يحسن للسامع، فلا يترك له تساؤلاً أو استفساراً مبهماً، فيستقصي جوانب الفكرة ويثبّعها معرفةً وعلمًا، فإذا تحقق الاكتفاء تحققت الاستجابة والقبول ووقعت موقعاً حسناً من السامع أو المخاطب. يقول:

" إنما يحمل الرجل على الحلف إحدى هذه الخلال: إما مهانة يجدها في نفسه وضرع^(١) وحاجة إلى تصديق الناس إياه، وإما عي^(٢) بالكلام حتى يجعل الأيمان له حشواً ووصلًا، وإما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله إلا جهد اليمين، وإما عبث في القول وإرسال اللسان على غير روية ولا تقدير^(٣)

يحتمل القسم أو الحلف عند ابن المقفع مكاناً بارزاً في عيوب الحديث، فهو يحذر من استخدامه، ويفصل القول في دوافعه، بما يكفي أن يقف الإنسان عليها ليتجنبه، فإنما يحمل الإنسان على الحلف إحدى خصال أربع رتبها وفق تداعيتها في النفس ثم تداعيتها على اللسان.

فالحالف المكثّر من الأيمان لغواً لا يخرج عن أربع، يكمن العيب الأول في النفس والإحساس بضآلتها ومهانتها فتضطر أن تقوى بعظيم كالحلف، ويكمن العيب الثاني في اللسان إذ يحمل من العي ما يحمل، فيبتدئ كلامه ويصله ويحشوه بالحلف، ويكمن العيب الثالث في إحساسه بعدم تصديق الناس له نظراً لوفرة كذبه السابق، فيلجأ للحلف رغبة في تصديق الناس إياه وسماعهم دعواه، ويكمن العيب الرابع في الرغبة في العبث وعدم حسابان للقول ومراميه

١ (الضرع تنزل وخضوع، لسان العرب، مادة: (ض ر ع)

٢ (العي عجز عن الكلام وعدم إحكام له، لسان العرب، مادة: (ع ي ي).

٣ (الدرة اليتيمة: ص ٢٤.

والحلف وقداسته، فيستأذ حينئذ بالحلف على غير روية وتقدير ولا تعويد على قول السداد والتثبیت. وكلها في مصاف الذم والهجنة والعيب والخلل، لا تصدر عن متبصر لنفاذ الحديث وأهمية مصداقيته، من ثم اضطر ابن المقفع لذكرها مع تبيان مدامها تحرجا من الوقوع في واحدة منها أو اتخاذها ديدنا في الحديث.

❖ أسلوب الاقتباس

يضمّن ابن المقفع كثيرًا من المعاني الأخلاقية في نصوصه، ويقتبس من القرآن والسنة ما يشي بتشرّب الإسلام فيه، وتغلّغله في فكره، من اقتباسه لمعنى قرآني قوله:

" اعلم أنه قلما بده^(١) أحد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في إخفائه عن الناس ..إلا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذي يبدو منه عند ذلك"^(٢)

يبين أن لا خفاء للأعمال والعقد التي في النفس، فإن أي إضمار في القلب سرعان ما يبرزه الوجه والعين واللسان، يظهر هذا المعنى مقاربا للمعنى في آية كريمة، بفارق أن كلام ابن المقفع يصب في انكشاف الناس لبعضهم في الدنيا، وكلام الله حديث عن اليوم المشهود، قال تعالى:

{حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)}^(٣)

ويقارب كذلك معنى بيت زهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ^(٤)

^(١) البده: أول كل شيء وما يفجأ منه، لسان العرب: مادة (ب د هـ)

^(٢) الدرة اليتيمة: ص ٥٥.

^(٣) فصلت: ٢٠-٢٢.

^(٤) (جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي

ومما يدل كذلك على تشرب المعاني الإسلامية في قلبه قوله:

" فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ شَأْنِهِ الْحَرَصَ عَلَى الْأَخْبَارِ لِأَسِيْمَا مَا رَاعَ مِنْهَا فَأَكْثَرَ النَّاسِ مَنْ يَحْدُثُ بِمَا سَمِعَ وَلَا يَبَالِي مِمَّنْ سَمِعَ"^(١)

مما يتصل بضرورة التروي في الحديث قبل البدء به : ما يذكره ابن المقفَّع عن سرعة نقل الأخبار، دون تمحيص لها، أو حتى تصديق، والسبب في ذلك أن الإنسان قد تمر عليه الأحاديث المليحة أو الرائعة ، فيسرع إلى حفظها، وعندئذ يتملكه شعور غريزي في أن يشرك الآخرين إعجابه بهذه الأحاديث .

يذم ابن المقفَّع السَّمَاعِينَ للكذب الثَّرَائِرِينَ دون تثبت ولا معرفة بصاحب الحديث، وهم الأكثر الغالب، مع أن الإنسان من جبلته الحرص على الأخبار، لكن من أكمل الخلق وأوثق عرى الإيمان التريث ومعرفة منابت القول، وهذا يذكر بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^(٢) وبحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: "كفي بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع."^(٣)

ومما يتصل بضرورة التروي في النقل للأحاديث قوله: " وَلَا تَقُلْ كَمَا يَقُولُ السُّفَهَاءُ أَخْبِرْ بِمَا سَمِعْتَ فَإِنَّ الْكُذْبَ أَكْثَرُ مَا أَنْتَ سَامِعٌ"^(٤).

والأساس في صون اللسان : أن يظل الإنسان صامتاً ، لا يتكلم إلا إذا دعت إلى الكلام ضرورة . ثم بعد ذلك توجد عدة آداب لاستخدام اللسان بصورة معتدلة وناجحة ، من أهمها : مراعاة الموقف، وظروف المخاطب ، وتجنب بعض العادات الرديئة مثل رواية كل ما يسمع الإنسان دون تمحيص ، وقطع الحديث بعد البدء به ، والتكرار الممل ، والقسم حيث لا مجال له ، والكذب ، والملق ... وغيره .

(مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)، ص ١٧٨ .

^١ (الدرة اليتيمة: ص ٦٠ .

^٢ (الحجرات: ٦

^٣ (صحيح مسلم

^٤ (الدرة اليتيمة: ص ٦٠ .

"إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه؛ فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى"^(١)

وهو هنا يعرج على ذم الهوى، "وَالْهَوَى مَيْلُ الطَّبَعِ إِلَى مَا يُلَائِمُهُ وَهَذَا الْمَيْلُ قَدْ خُلِقَ فِي الْإِنْسَانِ لِضُرُورَةِ بَقَائِهِ فَإِنَّهُ لَوْلَا مَيْلُهُ إِلَى الْمَطْعَمِ مَا أَكَلَ وَإِلَى الْمَشْرَبِ مَا شَرِبَ وَإِلَى الْمَنْكِحِ مَا نَكَحَ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا يَشْتَهِيهِ فَالْهَوَى مُسْتَجَلِبٌ لَهُ مَا يَفِيدُ كَمَا أَنَّ الْغَضَبَ دَافِعٌ عَنْهُ مَا يُؤْذِي فَلَا يَصْلُحُ ذَمُّ الْهَوَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَإِنَّمَا يُذَمُّ الْمُفْرِطُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَا يَزِيدُ عَلَى جُلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَفَعِ الْمَضَارِّ، وَلَمَّا كَانَ الْغَالِبُ مِنَ مُوَافِقِ الْهَوَى أَنَّهُ لَا يَقِفُ مِنْهُ عَلَى حَدِّ الْمُنْتَفِعِ أُطْلِقَ ذَمُّ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ لِعُمُومِ غَلَبَةِ الضَّرَرِ"^(٢)

من ثم فابن المقفع يستحضر في هذا النص معنى قوله تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ }^(٣) {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}^(٤) وغيرها كثير.

"واعلم أن خفض الصوت وسكون الريح ومشى القصد من دواعي المودة"^(٥)

كثير من معاني ابن المقفع قائمة على الاستنباط والموازنة والإجمال والتفصيل، وهذا المعنى يتضح أكثر في قوله تعالى حكاية عن وصايا لقمان لابنه: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }^(٦).

مما سبق يظهر ما تمتاز به قدرة ابن المقفع الكتابية على بناء الكلام السلس المتين، حتى إن الكلام ليأخذ طرقات متشعبة، أو يعترضه معترض من القول، أو يتقدم بعض عناصر الجملة ويتأخر بعضها الآخر، وابن المقفع رغم ذلك كله قابض على زمام الحديث قبضا لا

^١ الدرة اليتيمة: ص ٦٣.

^٢ (ذم الهوى: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي، ص ١٢.

^٣ (القصص: ٥٠.

^٤ (ص: ٢٦.

^٥ (الدرة اليتيمة: ص ٦٥.

^٦ (لقمان: ١٨ - ١٩.

تهتز يده أو يفلت منه شيء. وكثير من الجمال كله عائد في الدرة على إحكام الأمر والنهي بما في ذلك من طرافة وجراءة ورغبة في الإدهاش، وإدلال بامتلاك اللغة والإحاطة بها من أقطارها. كما إن روابط الجمل والعبارات من مثل "وذلك أن"، "فإن" و"الفاء ولكنّ وثُمَّ" وما أشبه، وفحصها وسبر غورها لن ينجم عن رائحة وهن. ولديه كذلك هندسة الجمل الأنيقة، إذ هي هندسة مرنة مفعمة بالحيوية بعيدة عن الجمود والسير على منوال واحد. ولهذا نجده يعتمد حسن التقسيم أحياناً، ويتركه أحياناً أخرى، ويطوّل الجملة أحياناً، ويقصّرها أحياناً أخرى. يختزل المعاني الإسلامية في سطور قليلة، ويفرع للمعنى الواحد، ويشبه أو يستعير بقدر، ويزاوج بين الثنائيات، مع التعليل في كلّ، والعلة عنده تكون بتضام الألفاظ فيها حتى يتضح المعنى المطلوب، وهي الدالة عليه والمؤدية إليه، كذلك نراه في نصحه المخلص يراوح بين الأمر والنهي فلا يجري هنا أيضاً على وتيرة واحدة. ومن ثم كان هذا الإبداع الأسلوبى الرفيع.

المبحث الثالث

أثر القرآن في أسلوب ابن المقفع

يظهر من عرض أسلوب ابن المقفع أنه ينساب في سلاسة وفحولة وثقة وإحكام تركيب لا تتحقق إلا على يد فطاحل الكتاب، ويتبين من استشهاده واستدلالاته تأثره بالقرآن الكريم. ومهما تدبر الباحث كلام ابن المقفع في رسالته وتفهمه وقرأ بين السطور فإنه لن يجد فيه جملة تنزّ إلى المجوسية بعزقٍ أو تضرب على الزندقة بوترٍ، ومهما تأمل من أفعاله فلن يكون فيها ما يقنع بتلك الزندقة.

إن "الدرة اليتيمة" التي قيل في بعض الكتب إنها الكتاب الذي عارض به ابن المقفع كتاب الله الكريم. هي في كثير من نصوصها رسالة "الأدب الكبير"، ولا شيء سواه. وابن المقفع لا يترك القارئ هنيهة في عمّاية من الأمر بالنسبة إلى ذلك الكتاب؛ ذلك أنه يسارع في مفتتحه فيقول إن السابقين يفضّلوننا في كل شيء حتى في البلاغة. فلو افترضنا مجرد افتراض أنه كان يؤمن بأن النبي هو مؤلف القرآن، -على سخر ذلك الافتراض-، فلقد كان يكفي أن يكون محمد ﷺ أسبق منه في الزمن كي يتفوق عليه فيما يروم أن يقلده فيه طبقاً للقانون

الذى استخلصه هو من فهمه وعلمه وتجاريه، وهو أن المتقدمين أفضل في كل شيء من اللاحقين، وأن منتهى علم هؤلاء هو الاقتداء بأولئك والاحتذاء بهم، واتخاذهم مثلاً أعلى ينصبونه أمام أعينهم. ولكأنه كان يكذب من يتهمونهم بمعارضة القرآن حين نص نصاً على أن المتقدمين لم يتركوا للمتأخرين مقالاً لم يسبقوهم إليه في الدعوة إلى الله ووعظ العباد ووصف الأخلاق الفاضلة والترهيد في الدنيا، وأن ما يكتبه في رسالته هذه لا يعدو أن يكون إسهاماً ضئيلاً بالقياس إلى ما وضعه السابقون من جسام التأليف^(١).

كذلك فإن أول شيء يتناوله بالكلام هو الدين ورأيه فيه: "أصل الأمر في الدين أن تعتقد الإيمان على الصواب، وتجتنب الكبائر، وتؤدي الفريضة. فالزم ذلك لزوم من لا غنى له عنه طرفه عين، ومن يعلم أنه إن حرمه هلك. ثم إن قدرت على أن تجاوز ذلك إلى التفقه في الدين والعبادة فهو أفضل وأكمل"^(٢). فكيف يعارض القرآن من يجعل الإيمان اعتقاداً راسخاً في النفس، وأنه أصل كل فضيلة، وعماد كل كمال، ولزومه فرض عين إذ لا غنى عنه طرفه عين؟

وفوق ذلك فهو، "على مدى تلك الرسالة من أولها إلى آخرها، لا يومئ مجرد إيماء، لا من قريب أو من بعيد، إلى أنه ينبغي بها معارضة القرآن، ولا ادعى النبوة ولا حتى الولاية، ولا قدم نفسه إلى الناس بوصفه شخصية دينية على الإطلاق. وهذا هو مربط الفرس، وإلا فكيف نعرف أنه يريد معارضة القرآن؟"^(٣).

^(١) يقول في مفتتح الدرة: "وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجساداً وأوفر مع أجسادهم أحلاماً، وأحسن بقوتهم للأمر اتفاقاً.. فكان صاحب الدين منهم أبلغ في أمر الدين منا، ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل حتى أشركوا معهم فيما أدركوا من علم الأولى والآخرة فكتبوا به مؤونة التجارب والفتن... فمتهى علم عالمنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم، وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرتهم"، الدرة اليتيمة: ص ١٤ وما بعدها.

^(٢) الدرة اليتيمة: ص ١٦.

^(٣) هل كان زنديقاً؟ هل كتب معارضة للقرآن؟ كلمة في عقيدة ابن المقفع، د. إبراهيم عوض، موقع تفسير، تمت الزيارة بتاريخ: ١٠ / ٣ / ١٤٣٨ هـ، <http://vb.tafsir.net/tafsir15307/#.WEq2NeYrJPY>.

مع هذا فإن بعض من كتب عنه يصر على رميه بالزندقة مثل د. محمد نبيه حجاب وإنعام الجندي وهاشم مناع ومأمون ياسين، وإذا نجحوا في رميه بالزندقة فهم على رميه بمعارضة القرآن أقدر.

ومن هؤلاء أيضاً بطرس البستاني، حيث كتب في ترجمة ابن المقفع قائلاً: "فمن هنا يتضح أن زندقة ابن المقفع لا تقوم على دليل من آثاره، وإنما تقوم على أقوال الرواة والمؤرخين. على أنه غير عجيب أن يكون ابن المقفع زنديقا وهو حديث عهد بالإسلام لم يزل يحن إلى ديانته الأولى تلك التي نشأ عليها وانتحلها معظم حياته، وهو لم يُسلم إلا حفاظا على كرامته وطمعا في الشهرة والجاه وتقربا إلى مواليه العباسيين. غير أن أعداءه عجزوا عن إثبات تهمته لأنه اعتصم بالتقية فلم يجاهر بكفره. ولعله كان يتصل من الكتب التي بث فيها آراء الزنادقة وطُمِسَتْ فلم تصل إلينا. ولو استطاعوا إثبات زندقته لما عمد المنصور إلى اغتياله سرا بل كان مثَّلَ به على رؤوس الأشهاد"^(١).

كذلك فإن الدكتور شوقي ضيف يعزو قتله إلى الأمان الذي كتبه لعم الخليفة، واعتمد فيه تلك الصيغة العنيفة المسيئة للمنصور، بيد أنه يمضى قائلاً إنه لا ينفي عنه مع ذلك تهمة الزندقة! والسبب هو أن هذه التهمة قد "شهد بها كثيرون من معاصريه ومن جاؤوا بعده"^(٢).

والذي يظهر للمدقق أن كل ما صدر عن ابن المقفع، ووصل إلينا من سلوكه أو فكره يدل على عكس ما يرمونه به، اللهم إلا إن كانوا قد استطاعوا التدسس إلى ما وراء الحجب حيث تستكنّ السرائر ورأوا ما نُجِّهَ نفسه هناك من كفر وزندقة. وابتغاء معارضة، وأنَّى ذلك؟!

ومن الدارسين المحدثين من اكتفي بالإشارة إلى ما قيل قديما عن زندقة ابن المقفع دون أن يتخذ موقفا من الموضوع فيؤكد أو ينفي تلك الزندقة. من ذلك ما ذكر عند الدكتور عمر

^(١) (الأدباء العرب في العصر العباسية: بطرس البستاني، (بيروت/لبنان: دار الجيل، ١٩٧٩م) ص ١٤١-١٤٢.

^(٢) (تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثامنة)، ص ٥١٠. وذكر أنه لم يسلم بل مات على دينه، ينظر: ص ٥٠٧.

فروخ، حيث بين أنه لم يعمّر طويلاً في الإسلام؛ لأن المنصور قد أمر بقتله بعد ذلك بأعوام قليلة^(١). وهنا يقدّم الأستاذ الدكتور الاحتمالات التالية:

أنه قُتل جرّاء الزندقة، أو بسبب صيغة الأمان التي كتبها ابن المقفع لعن الخليفة الذي كان قد خرج عليه وانهزم، ولم يشأ أن يسلم نفسه إليه إلا بعد أخذ ضمانٍ مؤكّدٍ منه ألا يقتله، وهو الضمان الذي صاغه ابن المقفع صياغة رآها المنصورة مسيئةً أشد الإساءة، إذ تخرجه في حالة نقضه للعهد من الملة وتنفيه عن بني العباس وتستتبع طلاق زوجاته وعتق عبيده، أو أنه قد قصد انتقاد الخليفة والزرارية على سياسته بكتابه: "كليلة ودمنة". وبهذا يكون د. فروخ قد خرج من العهدة فأدّى الاحتمالات المختلفة دون أن يقطع بشيء منها.

والحق أنه لا تردد في تبرئته من الزندقة وابتغاء المعارضة، ما دام القارئ لم يستطع أن يرى فيما كتب أي شيء يسيء إلى إيمانه، وإلا فيا ضيعة العلم والعقل والمنطق والمنهج إذا كنا بعد هذا كله نُصِرُّ على اتهام الرجل لا لشيء إلا لأن القدماء قد اتهموه، مع فشلهم في تقديم دليل واحد على ما اتهموه به.

وثمة وقوف على نص مهم في مسألة المعارضة، جاء في "إعجاز القرآن" للباقلاني:

"وقد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن، وإنما فزعوا إلى الدرة" و "التليمية". وهما كتابان: أحدهما يتضمن حكماً منقولة، توجد عند / حكماء كل أمة مذكورة بالفضل. فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى. والآخر في شيء من الديانات، وقد تهوس فيه بما لا يخفي على متأمل. وكتابه الذي بيناه في الحكم، منسوخ من كتاب بزر جمهر في الحكمة. فأى صنع له في ذلك؟ وأي فضيلة حازها فيما جاء به؟ وبعد، فليس يوجد له كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة، ثم مزق ما جمع، واستحيا لنفسه من إظهاره. فإن كان كذلك، فقد أصاب وأبصر القصد، ولا يمتنع أن يشتبه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده، ويتبين له أمره، وينكشف له عجزه. ولو كان بقي على اشتباه

^(١) (ينظر: تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، ص ٥١.

الحال عليه، لم يخف علينا موضع غفلته، ولم يشتبه لدينا وجه شبهته. ومتى أمكن أن تدعى الفرس في شيء من كتبها أنه معجز في حسن تأليفه، وعجيب نظمه؟^(١)

إن الباقلاني عالم من علماء القرآن، صنف كتاباً في إعجاز القرآن هو أشهر الكتب في بابهِ، يصف ما قيل عن معارضة ابن المقفَّع للقرآن بأنه ادعاء لا يثبت على التمهيد؛ لأنه لا يوجد كتاب له في هذا الموضوع. ثم يضيف أن هناك رواية أخرى تقول إنه حاول معارضة القرآن فعلاً، إلا أنه استبان له أن ذلك أمر فوق الطاقة فأنصرف عنه وأقر بعجزه بعدما تاب له رشده. وهذا دالٌّ على خلط ما ذهب إليه فنام من زندقته، دون تقديم برهان عليها.

ومن قبلُ ومن بعدُ: فإن المُعَايشَ لنصوص ابن المقفَّع، المتأمل لها يظهر له مدى تشرب المعاني الإسلامية في نفسه، وبعد تشربها في النفس بزغت في الفكر والحرف، فترتبت في الذهن وفق ترتيبها في النفس، ونهلت من معين الإسلام الرحب لم تتسلخ عنه طرفة عين، لا تعارضه وإنما تقتبس من نوره، ولا تجابهه إنما تحذو حذوه رغبةً في تكثيف المعنى واختزال القيم واقتدار البنان على البيان.

^(١) (إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، المحقق: السيد أحمد صقر، (مصر: دار المعارف، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م)، ص ٣٢.

الخاتمة

مما سبق تبين أن ابن المقفع يمثل ظاهرة موسوعية في عصره، ولا تزال كتبه وآثاره ماثرة اهتمام الباحثين والمؤلفين والدارسين على السواء، فالإنتاج الحافل الذي صاغه بقلمه يدل على تمكنه من الفن الكتابي تمكناً شديداً، وقد استعرض ابن المقفع في رسالته اليتيمة الحياة السياسية والاجتماعية، وبعض الأخلاقيات بين الناس بعضهم بعضاً، وربما بعض أخلاق الوالي بنقد مبطن، حيث كان ذا براعة في معالجة موضوعات ذات مساس حاد بحياة الدولة والمجتمع.

وتجلى في هذا البحث بعض مزايا الاختيار والتأليف للأساليب والصور والتركيب، في محاولة للبرهنة على عدم معارضة ابن المقفع للقرآن الكريم، ولا تقام برهنة إلا على دليل، عقلي ونقلي، أما العقلي فيكمن في عدم وجود معارضة أصلاً أو ما يوحي بها، وإنما البيئة على من ادعى، والنقلي يكمن في أسلوبه الكائن وتشربه معاني الإسلام في فقره وحكمه. ومن أبرز النتائج المستخلصة من هذا البحث ما يلي:

- يدرك ابن المقفع أثر الأخلاق في صلاح حياة الناس، وكان هذا شغله الشاغل في الدرة اليتيمة، فالرسالة كلها تدور حول كيفية اكتساب الخلق الأفضل، من ثم تلخصت آداب المجالسة عنده إلى:

- ١- آداب الاستماع . ٢- آداب الحديث . ٣- آداب مجالسة الجماعة .
- ٤- آداب مجالسة الأصحاب . ٥- مقارنة بين القول والعمل . ٦- علاج عيوب المجالس .

- معاني ابن المقفع أخلاقية، بيد أنه ترك عليها بصمته من خلال أسلوبه، فاختر مذهباً كتابياً لاعم فيه بين المعنى والأسلوب وأنواع التركيب، وفقاً لحال المخاطب. فجعل معانيه تستدعي قولها، وتستدعي ألفاظها المناسبة المعبرة، المؤدية أحسن الأداء.
- طريقة ابن المقفع في تسجيل تلك النصائح الأخلاقية طريقة تقوم على التركيز الشديد في فقرات قصار أو متوسطة ، تبدأ غالباً بأمر أو نهى (افعل - لا تفعل) ، وفي بعض الأحيان يكون الاختصاص بموقف معين، فتبدأ ب (إذا حدث كذا ...) لكنها

تعود أيضاً فتأمر أو تنهى. ويتبع الأمر والنهي تعليل يبررهما، فيقر به السامع ويقتنع به.

- اختياره للجملة الإنشائية الطلبية دون الخبرية مما تتفرد به الرسالة، حيث مثل لبنة مهمة في بناء أساليبه، مع موافقة ومناسبة للغرض التعليمي التربوي.
- تنوعت الأوامر والنواهي في الصياغة والغرض وفقاً لتنوع مستويات المخاطبين ونوعياتهم.
- صيغ الأمر والنهي تنوعت بين التأكيد بالنون والخلو منها، وابن المقفَّع أكثر استعمالاً للنون مع أسلوب النهي خاصة.
- اقتران لا الناهية بالمضارع يجعل النفي موصوفاً بالاستمرار، فيصبح الاستمرار للنفي لا للفعل، فيتآزر معنى الاستمرار مع التوكيد، الذي يضيف على المعنى المؤكد زيادة حث وترغيب.
- تعليلاته عقلية مؤكدة بأن وتربط الجمل بفاء السببية، وهي كثيرة في الدرة، تقوم مقام الحجة على ما يدعو إليه.
- ينتقل المقفَّع بين أكثر من شكل للخطاب، فتارة يخاطب المفرد "المخاطب"، في لهجة أمرة، وقد يلجأ إلى التعليل بنية إنماء المستوى الأخلاقي عند السامع. وقد يرسل إشارات بطريقة إيحائية لا تتوجه لمخاطب بعينه، ربما لأن جهة الخطاب تمثل سلطة أو هبة.
- الثنائية بشتى أشكالها من طباق ومقابلة لعبت دورها الأساس في بناء النص عند ابن المقفَّع، وأخص رسالته اليتيمة، حيث نجح هذا الأديب في تعاور الثنائيات وتوظيفها وفق الغرض والمقصد من كل توجيه.
- استدعاء الضد يتطلب دقة وملاءمة؛ لأنه أوضح في الدلالة على معناه، وكان الغرض عند ابن المقفَّع هو الذي يستدعي الثنائيات لاسيما المطابقة والمقابلة ويستوجبها.
- الإيجاز والتوشيع وحسن التقسيم من مظاهر التوشيع في الأساليب، وربما قصد ابن المقفَّع من هذا أن يحسن للسامع، فلا يترك له تساؤلاً أو استفساراً مبهماً، فيستقصي

جوانب الفكرة ويُشبعها معرفةً وعلمًا، فإذا تحقق الاكتفاء تحققت الاستجابة والقبول ووقعت موقعًا حسنًا من السامع أو المخاطب

- يمثل ابن المقفع بالصورة، ومعانيه وليدة الإحساس والشعور، وهي حقائق أخلاقية ثابتة لكن عرضه لها بهذا الأسلوب جعل مع عرض الحقيقة دليل إيضاح وإقناع وإمتاع، وتمكين للمعاني في النفوس. مع ملاحظة أن الصور البيانية ضئيلة جدًا في الرسالة، تعدّ وتحصى على أصابع كف واحدة.
- اتهام القدماء لابن المقفع بالزندقة والمعارضة للقرآن تقف إزاءه الباحثة موقف الرفض المطلق، مع دفاع هو حقيق به، وقول بأن ما تركه لنا من آثار مكتوبة خير شاهد على قوة إيمانه، ظهر هذا في أسلوبه، وفي معانيه المشربة بحب الإسلام والاستعذاب للرّي منه.

المصادر والمراجع

- ✓ ابن المقفع وأثره في التراث البلاغي والنقدي: سوسن رجب حسن، (مصر، كتابات، العدد ٨، ٢٠١٣م).
- ✓ الأدباء العرب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني، (بيروت/لبنان: دار الجيل، ١٩٧٩م) ص ١٤١-١٤٢.
- ✓ إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، المحقق: السيد أحمد صقر، (مصر: دار المعارف، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م)
- ✓ الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الجيل، الطبعة: الثالثة)
- ✓ الإيمان: تقي الدين أبو العباس محمد ابن تيمية ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (الأردن: المكتب الإسلامي، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)
- ✓ البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، تحقيق وداد القاضي، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ)
- ✓ البناء اللغوي للنص الأدبي عند عبدالله بن المقفع وفق النظرية الزرادشتية: خلف خازر الخريشة، (الأردن: مؤتة للدراسات والبحوث، ج٦، العدد الثالث، ١٩٩١م)
- ✓ البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ)
- ✓ تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثامنة)
- ✓ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، (لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)
- ✓ جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي (مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)

- ✓ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر البغدادي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ)
- ✓ خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة)
- ✓ الخطاب ودلالاته عند ابن المقفع: عبدالحسين عبد الرضا العمري وأزهار فنجان الإمارة، (العراق: جامعة البصرة، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٠، ٢٠١٢م)
- ✓ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم)
- ✓ الدرة اليتيمة: تقديم شبيب أرسلان، (مصر: المكتبة المحمودية التجارية لصاحبها محمود علي صبيح، ميدان الجامع الأزهر الشريف)
- ✓ ذم الهوى: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي
- ✓ الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، (دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى)
- ✓ رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ)
- ✓ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتب العلمية)
- ✓ الفهرست: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، (لبنان: بيروت، دار المعرفة، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م)
- ✓ القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م)

- ✓ المجازات النبوية: الشريف الرضي، تحقيق وشرح فضيلة الدكتور طه محمد الزيني، (قم، شارع إرم، منشورات مكتبة بصيرتي).
- ✓ مقامات بديع الزمان الهمذاني: أبو الفضل أحمد بن الحسين ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م)
- ✓ هل كان زنديقا؟ هل كتب معارضة للقرآن؟ كلمة في عقيدة ابن المقفع، د. إبراهيم عوض، موقع تفسير، <http://vb.tafsir.net/tafsir15307/#.WEq2NeYrJPY>
- ✓ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، الطبعة: ١٩٠٠)